



سورة الأنبياء: الابتلاءات الخاصة بالأنبياء

02 آيات متفرقة

تدبر القرآن الكريم

2025-08-23

المُحَاوِرَةُ هُنَا الْمَجَالِي:

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. مُسْتَمِعِينَا حَيَّاكُمْ اللهُ وَأَهْلًا بِكُمْ إِلَى هَذِهِ الْحَلْقَةِ الْجَدِيدَةِ مِنْ بَرْنَامَجِ التَّفْسِيرِ نَوَافِذِ دِينِيَّةٍ، وَالَّذِي مَازَالَ الْحَدِيثَ فِيهِ عَنْ أَنْوَارٍ وَتَأْمُلَاتِ سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ، فَتَعَالَوْا بِنَا مُسْتَمِعِينَا لِمَعِينِ هَذِهِ السُّورَةِ الْجَلِيلَةِ.

مقدمة:

إِخْوَتِي الْكَرَامَ: حِينَ تَفْتَحُ قَلْبَكَ لِسُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ، لَا تَقْرَأُ أَحْدَانًا مَاضِيَةً، بَلْ تَسْمَعُ صَوْتَ الْوَحْيِ يُخْبِرُكَ أَنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ فِي هَذِهِ السُّورَةِ مَقَامًا، وَلِكِ ابْتِلَاءٍ فِيهَا مَغْزَى، وَلِكِ دَعَاءٍ فِيهَا طَرِيقًا مَفْتُوحًا إِلَى السَّمَاءِ، هِيَ سُورَةُ النَّبُوَّةِ الْكُبْرَى وَالْمَقَامِ التَّوْحِيدِيِّ الْجَلِيلِ، جَمَعَتْ أَنْفَاسَ الْأَنْبِيَاءِ وَسَطُورَ التَّضْحِيحَاتِ، لِتَكُونَ لِلْعَالَمِينَ آيَةً عَلَى صِدْقِ الْوَعْدِ وَسَمُوِّ الْمَقْصِدِ. مُسْتَمِعِينَا دَعْوَانَا نُكْمِلُ الْحَدِيثَ عَنْ أَنْفَاسِ الْأَنْبِيَاءِ، وَعَنْ دَعْوَاتِهِمْ، وَعَنْ اسْتِجَابَةِ اللَّهِ لَهُمْ، حَتَّى أُنَّ هَذِهِ السُّورَةَ سُمِّيَتْ بِسُورَةِ الْاسْتِجَابَةِ. فَرَجَّيْنَا مَعَكُمْ مُسْتَمِعِينَا الْأَفْضَلَ بِفَضِيلَةِ الدُّكْتُورِ بِلَالِ نُورِ الدِّينِ، أَسَازِةَ التَّفْسِيرِ وَالْإِعْجَازِ الْعِلْمِيِّ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، عَضُوَ رَابِطَةِ عُلَمَاءِ الشَّامِ، وَالْمَشْرِفِ الْعَامِ عَلَى الْمَوْقِعِ الرَّسْمِيِّ لِلْعَالَمِ الْجَلِيلِ الدُّكْتُورِ مُحَمَّدِ رَاطِبِ النَّابِلَسِيِّ. حَيَّاكُمْ اللهُ دَكْتُورًا وَأَهْلًا وَمَرْجَبًا بِكُمْ.

الدكتور بلال نور الدين:

بارك الله بكم ونفع بكم وشكرًا لهذه الاستضافة الكريمة.

المُحَاوَرَةُ هُنَا الْمَجَالِي:

أهلاً بكم دكتور، في سورة الأنبياء والتي تحدثت فيها في أسابيع سابقة، توقفنا في حديثنا عند الحديث عن عدل الله المُطَلَق، تحدّثنا عن الحساب، عن الوعد والوعيد، تحدّثنا عن الفرقان الذِّكْر، ربطنا صفات المُتَّقِينَ بخشية الله في الغيب، اليوم نأتي لِتُخَصِّص هذه الحلقة عن ذكر الأنبياء في سورة الأنبياء، تقدّم الحديث عن بلاغة وإعجاز القرآن الكريم حين ذكّر هؤلاء الأنبياء بغير ترتيب زمني، فذكر مثلاً إبراهيم قبل نوح عليهما السلام، وهكذا، وبيّنا الإعجاز في ذلك، اليوم يا دكتور نتحدث عن الآيات والتي تختص بسيدنا إبراهيم عليه السلام، إبراهيم لم يكن خصماً للوثنية فقط، بل حجةً حيةً على فساده، فجاء التهديد بالنار فكانت برداً وسلاماً، نوّد بيان أنّ من صدق مع الله فإن نار القوم ونار الدنيا ينجو منها، فالقلوب الموحّدة لا تحترق، زدنا من علمكم بآرك الله بكم.

الدكتور بلال نور الدين:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد.
كما تفضّلتم سورة الأنبياء فيها روحٌ وتقسيمٌ من أنفاس الأنبياء، عليهم صلوات ربّي وسلامه، وبيدأ ذكر الأنبياء بشكلٍ مُفضّل في السورة بقوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُسُودَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (51)

(سورة الأنبياء)

إبراهيم عليه السلام لم يكن فرداً بل كان أمة:

وتأخذ السورة هنا مقطوعاً من قصة إبراهيم عليه السلام، وهو المُتعلّق بتحطيم الأصنام، وبناء الإيمان، والتوحيد في نفوس قومه، والله تعالى عندما وصف إبراهيم عليه السلام قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ خَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (120)

(سورة النحل)

فهو عليه السلام قد حوّل مسار أمةٍ كاملة، من ذل الشرك إلى عز التوحيد والعبودية، فهو لم يكن فرداً واحداً، وهذا يُعلّمنا أنّ كلّ واحدٍ منا لا ينبغي أن يكتفي بنفسه، أو أن يكون فرداً، أو أن يؤثر أن يكون صالحاً فحسب، وإن كان هذا مطلبٌ شرعي، ولكن المطلوب أن نكون مُصلحين، وأن ننقل من الصلاح إلى الإصلاح، وإبراهيم انطلق من ذاته إلى هداية خلق الله تعالى، إلى هداية قومه، فكان أمةً، وما تزال الأمة إلى يومنا هذا تذكره في كل صلاة، فنقول: "اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم" فعلاقتنا بنبي الله إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، علاقةٌ مستمرة، وعلاقةٌ وثيقة، فهذا النبي الكريم بدأ بهدم الآثنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (53) قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ فِي صَلَاحٍ مُّبِينٍ (54)

(سورة الأنبياء)

التقاليد والعادات، وما وجدنا عليه آباءنا، وما تربّينا عليه، وأعرأفنا وتقاليدنا، هذه كلها إذا كانت مُعَارضةً لشرع الله فلا ينبغي الاستمرار فيها، قال: (لَقَدْ كُنْتُمْ أَنتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ فِي صَلَاحٍ مُّبِينٍ) فعلمنا هنا إبراهيم عليه السلام، أن نبدأ بهدم الأفكار المغلوطة، ثم نبدأ ببناء الأفكار الصحيحة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۚ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (256)

(سورة البقرة)

فيعد أن فاجأهم بأنه يتعرّض لأصنامهم ويتعرّض لمعبودهم من دون الله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ بَلْ رُبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (56)

(سورة الأنبياء)

الإنسان حينما يُحسِن توجهه إلى الله يُعَيِّر الله له نواميس الكون كله:

الآن عندما توجه إلى الله وحده، وبنى التوحيد في النفوس، وعمِل لوجوه واحد كفاه الله الوجوه كلها، فلم تُحرقه النار لأنّ النار مخلوق من مخلوقات الله، ولا يقوم أمرها ولا تُحرق إلا بأمر الله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْنَا يَا تَارُكُوبِي بَرِّدَا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (69)

(سورة الأنبياء)

فالإنسان عندما يُحسِن التوجه إلى الله، الدرس الذي نُعلِّمنا إياه القصة، أنّ الإنسان حينما يُحسِن توجهه إلى الله، يُعَيِّر الله له نواميس الكون كله، لأنه أحسن التوحيد، ما تعلّمت العبيد أفضل من التوحيد، "اعمل لوجوه واحد يكفك الوجوه كلها".

{ مَنْ جَعَلَ اللَّهُ هَمًّا وَاحِدًا هَمًّا مَعَادٍ كَقَاءِ اللَّهِ سَائِرَ هُمُومِهِ وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ أَحْوَالِ الدُّنْيَا لَمْ يَسْأَلِ اللَّهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَّتِهَا هَلَكَ }

(أخرجه ابن ماجه والبخاري والعقيلي في الضعفاء الكبير)

فالإنسان إمّا أن يكون موحّداً، أو أن يريد أن يرضي فلاناً وفلاناً ولن يرضى أحد عنه، ثم يستحق عقوبة الله تعالى.

إبراهيم عليه السلام علّمنا هذا الدرس العظيم، أنك عندما تُحسِن التوجه إلى الله، فالله يكفك البشر كلهم، فإذا بالنار تُصبح برداً وسلاماً، ولو قال برداً، لربما تجمّد أو عانى من البرد، لأنّ البرد مزرع كما هي الحرارة، لكن قال: (كُونِي بَرِّدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ) وحُصِّن بها إبراهيم عليه السلام، فالنار تُحرق وهذه نعمة من نعم الله تعالى، نطهو بها طعامنا، نتدفأ بها، إلى آخره... لكن الله تعالى على إبراهيم جعلها برداً وسلاماً لأنّ أحسن إبراهيم التوجه، لا أقول إنّ كل إنسان يُحسِن التوجه إلى الله سيكون له معجزة، لأنّ المعجزات للأنبياء عليهم صلوات ربّي، لكن ستكون له معاملة خاصة من الله، كرامة من الله، سيرعاه الله، سيُدخل إلى قلبه السكينة، سيحميه من شرور الخلق، سيتولى أمره.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ (11)

(سورة محمد)

المُحَاوَرَةُ هُنَا الْمَجَالِي:

بارك الله بكم، إذًا هُنَا يا دكتور نحن نتحدّث عن رسائل النبوّة من رحم الابتلاء، خاصة في سورة الأنبياء، تتحدّث عن ابتلاء ثم تتحدّث عن نجاة، فهذا ما تُركّز عليه السورة في حديثها عن هؤلاء الأنبياء، لذلك عندما ننتقل لمشهد آخر من مشاهد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، سيدنا لوط، وكان في فترة سيدنا إبراهيم عليهما السلام، كيف تحدّثت الآيات عن قوم عكسوا الفطرة، فكان لوط ناصحاً ومصلاً وصابراً على الأذى؟

الدكتور بلال نور الدين:

بعد قصة سيدنا إبراهيم بطريقة جميلة جداً، تنتقل الآيات للحديث عن سيدنا لوط عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَوْطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَتَجَبَّأَهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا سَوِيًّا قَاسِيَيْنَ (74)

(سورة الأنبياء)

فهم التاريخ يُؤدّي إلى فهم الحاضر واستشراف المستقبل بشكلٍ صحيح:

أي وادكر لقومك يا محمد صلى الله عليه وسلم، ادكر لهم هذه القصة، يجب أن يتعلموها، يجب أن يتعوا القصص والتاريخ، لأنّ فهم التاريخ يُؤدّي إلى فهم الحاضر واستشراف المستقبل بشكلٍ صحيح، لا بُدّ من قراءة الماضي قراءة وعيٍ وتدبّرٍ وتأملٍ، ولا سيما إذا كان هذا الماضي هو قصص الأنبياء عليهم السلام، فقال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَوْطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَتَجَبَّأَهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا سَوِيًّا قَاسِيَيْنَ (74) وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا ۚ إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (75)

(سورة الأنبياء)

هنا القصة تأخذ منحى الاختصار، لتأتي السور الأخرى وتبيّن، ما هذه الخبائث التي كانت تعملها، وكيف نجّاه الله تعالى، فالعبرة هُنَا بالقصة كما تفضّلتم القرح بعد الشدّة (وتجَبَّأَهُ) التمكين بعد الابتلاء، سُئِلَ اللهُ أنّ الأنبياء ومن بعدهم المؤمنون، والأقوام، والمجاهدون، والمقاومون، وكلّ الناس، أنهم يُبتلون أولاً، فيصبرون ثانياً، فيمكنون ثالثاً، وهُنَا لَمَّا سُئِلَ الإمام الشافعي رحمه الله: ندعو الله بالابتلاء أم بالتمكين؟ أجاب إجابته الرائعة "لن تُمكن قبل أن تُبتلى" كطالِبٍ يدخل إلى الجامعة فيسأل: هل أطلب الشهادة أم أطلب الامتحان؟ فيقال له: لن تأخذ الشهادة قبل أن تخصص للامتحان، فالتكريم والتمكين والعزة والرفعة تأتي بعد ابتلاءٍ عظيم، هذه سُئِلَ اللهُ.

ما قام به قوم لوط هو خلافٌ للفطرة لذلك كانت عقوبته شديدة والإثم فيه عظيم:

لذلك هُنَا في قصة لوط عليه وعلى نبينا السلام، جاءت مختصرة تريد أن تُبيّن هذه النقطة تحديداً (وتَجَبَّأَهُ) هُنَا موطن الشاهد: (مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ) ما هذه الخبائث؟ ما تفضّلتم به بأن هؤلاء الأقوام كانوا يُخالفون الفطرة، واليوم بعد أكثر من ألفٍ وأربعمئة سنة على نزول القرآن على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، نعيش هذه الآيات واقفاً، نحن مجتمعاتنا والحمد لله بخير عظيم، ونسأل الله أن تبقى، لكن العالم اليوم يدعم الشذوذ، يدعم مخالفة الفطرة، يريد أن يُصيح الإنسان بلا قيم وبلا مبادئ، الزنا والعياد بالله هو مخالفة، لكنه مخالفة لحكم شرعي فاستحقّ صاحبه حدّاً من حدود الله، لكن أن يأتي الرجل الرجل والمرأة المرأة، فهذا ليس خلاف شرع الله فحسب، هو خلاف الشرع تماماً لكنه ليس كذلك فحسب، وإنما هو خلاف الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

لذلك كانت عقوبته أشدّ، وكان الإثم فيه أعظم، وكان التحذير منه أكبر، لأنه يخالف الإنسان فيه فطرته التي فطره الله عليها، فاليوم نحن بحاجة إلى أن نعود إلى أصل الفطرة، الفطرة مُقَوِّمٌ من مقومات التكليف التي وهبها الله إياها، اليوم إنسان ربما يفعل شيئاً لا يرضي الله، فيقول لك: انزعجت من الداخل، هذه هي الفطرة، إذا كان أرقى وأرقى، إن لم يستيقظ لصلاة الفجر يقول لك: أنا مُعَكَّرٌ طوال النهار، لماذا؟ يقول لك: اليوم لم أصل الفجر حاضراً، نمّت عنها رغم أنّ المُنبّه أيقظني، لكنني أثرت الفراش الرافئ، فهنا ما الذي حصل؟ فطرته تحركت، لكن لَمَّا يَأْتِي الإنسان المعصية كما حصل مع قوم لوط عليه السلام، وبمارسها ويخرّج عن مبادئ فطرته، تُطَقَس هذه الفطرة، فإذا طُمِسَت الفطرة فعندها كما قال صلى الله عليه وسلم:

{ تُعَرِّضُ الْفِتْنََ عَلَى الْقُلُوبِ عَرَضَ الْحَصِيرِ عُوْدًا عُوْدًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا نُكَيْتَ فِيهِ نُكْتُهُ سَوْدَاءٌ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَتَكَرَّهَا نُكَيْتَ فِيهِ نُكْتُهُ بَيْضَاءٌ، حَتَّى

يُصِيرَ الْقَلْبُ أبيضَ مِثْلَ الصَّفَا، لَا تُضَرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْأَخْرُ أَسْوَدَ مُرَبَّدًا كَالْكُوزِ مُجَجَّيًّا، لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ

مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ {

(أخرجه مسلم والبخاري وأحمد)

يُصِيحُ الْمَعْرُوفُ عِنْدَهُ كَالْمُنْكَرِ، بَلْ رِمَا أَصْبَحَ بِأَمْرِ بِالْمُنْكَرِ وَبِنَهْيِ عَنِ الْمَعْرُوفِ، يَقُولُ لَكَ أَنْتُمْ مُتَخَلِّفُونَ، لِمَاذَا لَا تَسْمَحُونَ بِهَذِهِ الظَّوَاهِرِ الشَّاذَّةِ؟ لِمَاذَا لَا تَتْرَكُونَ النَّاسَ عَلَى حُرِّيَّاتِهِمْ؟ لِمَاذَا وَلِمَاذَا إِلَى آخِرِهِ...!!

فَهَذِهِ الْآيَاتُ الْكَرِيمَةُ تَأْتِي بِمَرَضٍ يَخَالِفُ فَطْرَةَ اللَّهِ وَيَسْتَحِقُّ عِقُوبَةَ اللَّهِ، وَالْيَوْمَ نَوَاجِهُهُ وَبَرِيدَ الْعَالَمِ أَنْ يَفْرَضَهُ عَلَى أَنْهُ تَقَافَةٌ جَدِيدَةٌ فِي مَجْتَمَعَاتِهِمُ الْبَعِيدَةِ عَنِ اللَّهِ، وَنَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ تَبْقَى أَسْرُنَا قَلَاعًا حَصِينَةً صَدَّةً، وَبَيِّنْ كَيْفَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عِنْدَمَا تَكُونُ الْعَفَّةُ وَالطَّهَارَةُ، وَبِنَايِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ عَنِ هَذِهِ الْأَجْوَاءِ الْمُحَرَّمَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ يُنَجِّيه مِنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ، ثُمَّ قَالَ: (وَأَدْخَلْنَا فِي رَحْمَتِنَا) أَي تَخْلِيَةٌ وَتَحْلِيَةٌ، نَجِّيْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ، هَذِهِ تَخْلِيَةٌ انْتَهَى مِنْهُمْ، لَكِنْ لَمْ يَكْتَفِ الْبَيَانُ الْقُرْآنِي بِذَلِكَ، لَكِنْ قَالَ: (وَأَدْخَلْنَا فِي رَحْمَتِنَا) إِذَا دَخَلَ الْإِنْسَانُ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى فَمَا فَقَدَ شَيْئًا، يَا رَبِّي مَاذَا فَقَدَ مِنْ وَجْدِكَ، وَمَاذَا وَجَدَ مِنْ فَقْدِكَ.

المُحَاوَرَةُ هُنَا الْمَجَالِي:

إِذَا هَذِهِ الْآيَاتُ كَانَتْ الْمَقْصِدَ فِيهَا هُوَ الْإِنْكَارُ عَلَى الْبَاطِلِ، هُوَ وَاجِبٌ عَلَيْنَا، وَإِنْ كُنْتَ وَحِيدًا فَاللَّهُ يُنَجِّي أَهْلَ الْإِيمَانِ مِنَ الطُّوفَانِ، وَهَذَا مَا نَشْعُرُ أَنَّ الْآيَةَ تَقْصِدُهُ مِنْ خِلَالِ حَدِيثِكَ الطَّيِّبِ يَا دَكْتُورَ، هُنَاكَ لَفْتَةٌ جَمِيلَةٌ يَا دَكْتُورَ قَبْلَ الْحَدِيثِ عَنِ سَيِّدِنَا لُوطَ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (71)

(سورة الأنبياء)

وَذَلِكَ فِيهِ الْإِنْتِهَاءُ عَنِ حَدِيثِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، هُنَا إِشَارَةٌ فِي سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ إِلَى الْأَرْضِ الْمُبَارَكَةِ، وَكَأَنَّهَا فِيهَا تَلْمِيحَاتٌ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الْأَرْضَ الْمُبَارَكَةَ، سَيَكُونُ فِيهَا ابْتِلَاءَاتٌ لِلْأَنْبِيَاءِ، وَلَمْ تَسْلَمْ مِنْ ابْتِلَاءَاتِ الْأَنْبِيَاءِ.

وَذَلِكَ فِيهِ الْإِنْتِهَاءُ عَنِ حَدِيثِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، هُنَا إِشَارَةٌ فِي سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ إِلَى الْأَرْضِ الْمُبَارَكَةِ، وَكَأَنَّهَا فِيهَا تَلْمِيحَاتٌ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الْأَرْضَ الْمُبَارَكَةَ، سَيَكُونُ فِيهَا ابْتِلَاءَاتٌ لِلْأَنْبِيَاءِ، وَلَمْ تَسْلَمْ مِنْ ابْتِلَاءَاتِ الْأَنْبِيَاءِ.

أَرْضُ الشَّامِ أَرْضٌ مُبَارَكَةٌ بِبِرْكَةِ الْأَقْصَى:

الدَكْتُورُ بِلَالُ نُورِ الدِّينِ:

صَحِيحُ (الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ) هِيَ هَذِهِ الْأَرْضُ الْمُبَارَكَةُ الَّتِي أَكْرَمَنَا اللَّهُ تَعَالَى بِالْعَيْشِ فِيهَا، وَأَصْلُ بَرَكَتِهَا هُوَ الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى، وَفِلَسْطِينَ الْمُبَارَكَةَ الطَّيِّبَةَ وَمَا حَوْلَ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، كَمَا قَالَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ، فَنَحْنُ نَعِيشُ بِبِرْكَةِ هَذِهِ الْأَرْضِ، أَرْضِ الشَّامِ أَرْضٌ مُبَارَكَةٌ بِبِرْكَةِ الْأَقْصَى، فَهَذِهِ الْبِرْكَةُ الَّتِي حَصَلَتْ لَهَا لَمْ تَحْصَلْ هَبَّةً مُجَرَّدَةً عَنِ ابْتِلَاءِ، هَذِهِ سُنَّةُ الْحَيَاةِ، هَذِهِ الْأَرْضُ تَعْرِضُ الْيَوْمَ وَتَعْرِضَتْ سَابِقًا، لِحَمَلَاتٍ كَثِيرَةٍ مِنْ أَجْلِ التَّيْلِ مِنْ صَمُودِهَا وَثَبَاتِهَا وَقَوْنِهَا، لَكِنْ يَأْتِي دَائِمًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بَعْدَ الثَّبَاتِ وَالْقُوَّةِ وَالْمُوَاجَهَةِ، يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ التَّمَكِينُ وَالْقَرَجُ، كَمَا حَصَلَ مَعَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، وَهَذِهِ إِشَارَةٌ جَمِيلَةٌ جَدًّا.

المُحَاوَرَةُ هُنَا الْمَجَالِي:

وَبَعْدَ هَذَا الْمَشْهَدِ الْعَظِيمِ، نَذْهَبُ مَعَ الْآيَاتِ لِصَبْرِ الْأَلْفِ عَامٍ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (76)

(سورة الأنبياء)

دعوة امتدت قرونًا لم تفقد حرارتها، دعا، بكى، صبر، حتى جاءه الفرج بكلمة واحدة: **(فَاسْتَجَبْنَا)** نرجو بيان أنوار عدم استبطاء الإجابة، فإنها تحين بعد تمام البلاء والصبر تفضل.

الزمن عند الله تعالى ليس كالزمن عندنا:

الدكتور بلال نور الدين:

قصة سيدنا نوح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، أيضاً جاءت في آيتين اثنتين في هذه السورة، كما تفضلتم: **(وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ)** والفاء هنا تليفت النظر: **(فَاسْتَجَبْنَا)** الفاء في اللغة للترتيب على التعقيب، وكأن الإجابة جاءت عقب النداء، نادى فاستجبتنا **(فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ)** لكن لو نظر الإنسان كما تفضلتم في سورة نوح، وجد أنه دعا قومه ألف سنةٍ إلا خمسين عاماً، فكيف يقول الله تعالى: **(نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا؟)** لأنَّ الزمن عند الله تعالى ليس كالزمن عندنا، نحن نستبطئ، نحن نستاخر الإجابة، نحن نظن أنَّ الوقت قد طال، نحن نظن أن الابتلاء قد طال أمده، لكن في الحقيقة عند ربنا كُن فيكون، فالزمن مخلوقٌ من مخلوقات الله تعالى، يحكمنا لكنه لا يحكم الله تعالى حاشاه، فربنا جل جلاله يُبين بقوله: **(فَاسْتَجَبْنَا)** أنَّ الإجابة مهما طال أمدها فهي قريبة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (6) وَتَرَاهُ قَرِيبًا (7)

(سورة المعارج)

الله تعالى قد يؤخر الإجابة بالنسبة لنا، نحن نستبطئها، لكن هو في الحقيقة لما سيدنا موسى وهارون عليهما السلام:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَانَا فَاَسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَنَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (89)

(سورة يونس)

أصبحت من الماضي أجيب، متى أُجيب؟ بعد أربعين سنة، لكن قد أُجيب وانتهى، فنحن ينبغي أن نستيقن هذا الأمر عندما ندعو الله تعالى، أنا بمجرد أن أقول يا رب، قد أُجيب دعوتي إنتهى، الآن متى يأتي موعد التنفيذ؟ هذا علمها عند ربِّي لحكمةٍ بالغيةٍ من الله تعالى، علمتها أم جهلناها، لأنَّ الله تعالى مُرَبِّي، ما معنى ربِّ العالمين؟ مُرَبِّي، الابن يقول لأبيه: يا أبتى أريد حاسوباً، أريد جوالاً، أريد دراجةً هوائيةً، الأب يُحب ابنه، من اللحظة التي يطلب يقول أريد أن أتبه بها، لكن الأب يقول: الجوال الآن مُضِر لا ينفع، الآن أنت في مرحلةٍ دراسية، يؤجله له إلى حين يأخذ الشهادة ثم يأتيه به، لكن الأب من لحظة طلب الابن وضع في باله أنه سيأتي له بما أراد لأنه يُحبه، والله تعالى يُحِبُّنا وهو ربُّ العالمين، كيف يُرَبِّينا؟ من تربيتنا لنا أن نُحدِّد وقت العطاء وأن نُحدِّد وقت المنع، فإذا علم العبد الحكمة في المنع، صار المنع عين العطاء، فربنا جل جلاله يُجيب الدعاء، لذلك قال صلى الله عليه وسلم:

{ ما من رجلٍ يدعو الله بدعاءٍ إلا استُجيبَ له، فإمَّا أن يعجلَ له في الدنيا، وإمَّا أن يُدخِرَ له في الآخرة، وإمَّا أن يُكفِّرَ عنه من ذنوبه بقدر ما

دعا، ما لم يدعُ بإثمٍ أو قطيعةٍ رحمٍ أو يستعجل، قالوا: يا رسول الله وكيف يستعجل؟ قال: يقول: دعوتُ ربِّي فما استجاب لي {

(أخرجه مسلم والترمذي وأحمد)

استبطاء الإجابة مانعٌ من مواعن الإجابة:

فلنعلم أنّ استنباط الإجابة مانعٌ من موانع الإجابة، فندعو ونعلم أنّ الله حكيمٌ وعليمٌ، يختار ما يُصلحنا وقد أجاب دعوتنا، لذلك هذا هو الدرس:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَنُوحًا إِذْ تَادَى مِنَ قَبْلُ فاستَجَبْنَا لَهُ فَجَئْنَاهُ وَاهْلَهُ مِنَ الكُزْبِ الْعَظِيمِ (76) وَتَصْرَتَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ
فَاعْرَفْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (77)

(سورة الأنبياء)

فالنصر حاصل والاستجابة حاصلة، لا ينبغي أن نستبطنها، وإنما ينبغي أن نُعدّ أنفسنا لتكون أهلاً للدعاء لله وأهلاً لإجابة الله لنا.

المُحَاوَرَةُ هُنَا المَجَالِي:

بارك الله بكم يا دكتور، ونحن نتحدّث عن هذه الابتلاءات، وتجري بنا الآيات، ونحن على ظهر سفينة الابتلاءات، يأتي الحديث عن سيدنا داوود وسيدنا سليمان عليهما السلام، مثال العدل وفهم القلوب، قصة زرع مأكول، حُكْمٌ بليغ وفهمٌ أبلغ، فهُم الله سليمان وأثنى على كِلا الحُكْمَيْنِ، نرجو البيان والتوضيح ببارك الله بكم يا دكتور.

الدكتور بلال نور الدين:

بعد قصة سيدنا نوح تأتي قصة سيدنا داوود وسيدنا سليمان عليهما السلام.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخْتَصِمَانِ فِي الْخَرْبِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ عَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (78)

(سورة الأنبياء)

عندما لا يكون في شرعنا نصٌّ واضح في مسألة ما فالاجتهاد فيها مطلوب:

حتى يعلم المشاهدون عمّا نتحدّث، نتحدّث عن زرع لرجل في مزرعة يعتني به، ورجلٌ آخر عنده غنم والغنم في الليل (تَفَسَّطَتْ فِيهِ عَنَمُ الْقَوْمِ) عدت في الليل على الزرع وأكلته، أفسدت الغنم الزرع، فالآن نحن بحاجة إلى حُكْمٍ شرعيّ ماذا نفعل؟ هذا الرجل أكلت غنمه على زرع جاره، فكان أن حكم داوود بحُكْمٍ وحكم سليمان بحُكْمٍ أقرب إلى الصواب وأقرب إلى الحق، فكما روت الروايات أنّ داوودَ حكم بأنّ صاحب الزرع يأخذ الغنم دائماً، بينما سليمان قال: بل يأخذه حتى يُصلح أرضه، فإذا صلحت أرضه رجعت الغنم إلى صاحبها، فهما حُكْمَانِ اجتهاديان، المسألة كما يُقال عندنا في شرعنا عندما لا يكون فيها نصٌّ واضح، فالاجتهاد فيها مطلوب، فيجتهد الإنسان بما يوافق العدل، بما يوافق الإحسان أحياناً، لأنّ الله يأمر بالعدل ويأمر بالإحسان، فالإحسان مرتبة فوق العدل، فهنا أصبح هناك اجتهادان، الله تعالى أثنى على الاجتهاديين (إِذْ يَخْتَصِمَانِ فِي الْخَرْبِ) ما دمّ أحدهما (وَكَُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ) الله شهد وما غاب عنه لا حُكْمَ داوود ولا حُكْمَ سليمان، لكن أحياناً رُشْنَا عَزَّ وَجَلَّ قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخَرَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ تَرْفَعِ
دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّسَاءٍ □ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (76)

(سورة يوسف)

فالعلم درجات، وليس كل علمٍ بمرتبة العلم الآخر، فأحياناً يكون اجتهاد أقوى من الاجتهاد الآخر، فقال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَعَهْمَنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا قَاعِلِينَ (79)

(سورة الأنبياء)

فعلم داوود لا يُنكر وحُكمه لا يُنكر، لكن لعَلَّ الله عزَّ وجلَّ في هذه المسألة، أثار قلب سليمان بالحُكم الأقرب إلى الصواب، وهنا لما قال: **(فَعَهْمَنَاهَا سُلَيْمَانَ)** ليعلم الإنسان أن توفيقه من الله تعالى وحده، فنحن لا نتحرك بقوتنا الذاتية وإنما بقوة الله، ولا نحكم باجتهاداتنا الجيدة والقوية، بخبرتنا العميقة كما يحلو للناس، أنا قاضي مضي عليّ كذا وكذا وأنا أحكم، أنا لا أخطئ، وإنما قال: **(فَعَهْمَنَاهَا سُلَيْمَانَ)** فالله تعالى هو الذي يُعهمنا وهو الذي يُعلمنا، فيكون الحُكم ربما أولى من حُكمٍ آخر، ثم بعد ذلك يذكر ربنا جلَّ جلاله ما أتاه لداوود وما أتاه لسليمان، وبلغت نظري في الحديث عن داوود قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِنُخْصِنَكُمْ مِّنْ بَاسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ (80)

(سورة الأنبياء)

(وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ) هذا عنوانٌ عريضٌ لشبابنا وللناس :

فالله تعالى هنا يشير إلى أهمية العمل، إلى أهمية الكسب، ويُثني على الحرفة، سيدنا داوود يخيظ النياب ويخيظ الدروع التي تُحصن الإنسان من البأس **(وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ)** هذا عنوانٌ عريضٌ لشبابنا وللناس، بأن يتعلم الإنسان صنعةً تُعينه على حياته، وعنوانٌ لنا أيضاً في حياتنا وفي دولنا، بأن الصنعة مطلوبة، والحرفة مطلوبة، اليوم هناك تعليمٌ مهني، فكما أننا بحاجةٍ إلى الأكاديميين، أيضاً بحاجةٍ إلى الصنعة التي تنمي وتنهض بالأمم، وتحدث ربنا جلَّ جلاله بعد ذلك، عن ما سخره لسليمان من الريح التي تجري بأمره، أيضاً إلى الأرض التي باركنا فيها، إعادة لذكر البركة في هذه الأرض الطيبة، وما يمكن أن يُحققه الله من معجزاتٍ فيها، بنصر المؤمنين وحُذلان الكافرين، وعدم تحقيق أهدافهم إن شاء الله مما يريدونه، وما سخره الله له من الجن الذين كانوا يعملون بأمره.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوضُونَ مِّنْ بَعُوضٍ لَهُمْ يَغُوضُونَ ۖ وَعَمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ خَافِظِينَ (82)

(سورة الأنبياء)

المُحَاوِرَةُ هُنَا الْمَجَالِي:

بارك الله بكم، إذ ذكر الأرض المباركة في سورة الأنبياء أن يأتي مرتين، هذا لم يأت بالسياق العادي وإنما له مدلولات، له أنوار، له لطاف، حينما يتحدث عن سليمان وعن الأرض المباركة، حين يتحدث عن لوط وعن إبراهيم وعن الأرض المباركة، عليهم الصلاة والسلام جميعاً، إذ هنالك إشارات وهنالك توجه إلى هذه الأرض كما ذكرت في البداية، وإلى الابتلاءات التي ستكون عليها، بارك الله بكم.

الآن تنتقل للحديث عن الجسد التحيل يا دكتور، أهلاً ذهبوا ولكن قلباً بقي يقول:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَيُّوبَ إِذْ تَادَى رَبُّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (83)

(سورة الأنبياء)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ ۚ وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذَكَرْنَا لِلْعَالَمِينَ (84)

(سورة الأنبياء)

حدَّثنا عن سيدنا أيوب عليه السلام، عن صبره الطويل، مع أنَّ ذكره في القرآن الكريم لم يتعدَّ الأربع مرات، في سورة ص، والنساء، والأنعام، وهُنَا في الأنبياء، تفضل.

الصبر مطية لا تكبو توصل الإنسان إلى أعلى الدرجات:

الدكتور بلال نور الدين:

بعد أن ذكر الله عزَّ وجل سيدنا داوود وسيدنا سليمان، تحدَّث أيضاً بعُجالةٍ عن سيدنا أيوب، وأيوب معروفٌ بصبره، كما يُعرَف حاتمٌ بكرمه مع بُعد التشبيه وغير ذلك، فإذا ذُكر أيوب ذُكر الصبر، وقال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَجَدُّ يَدِكَ ضِعْفًا فَاصْرَبْ بِهِ وَلَا تَحْتِمْ ۚ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَّعَمَ الْعَبْدُ ۚ إِنَّهُ أَوَّابٌ (44)

(سورة ص)

ما أجمل أن يجدنا الله صابرين، الصبر مطية لا تكبو، والصبر طريقٌ إلى الله عزَّ وجل، وصول الإنسان فيه حتميٌّ، فالصبر يوصل الإنسان إلى أعلى الدرجات:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ۚ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (10)

(سورة الزمر)

فأيوب عليه السلام صحيح أنه لم يُذكر كثيراً في كتاب الله تعالى، ولكنه أصبح رمزاً للرجُل الذي يُصيبه المرض أو الضَّر، فيلتجئ إلى الله تعالى بأدبٍ عالٍ جداً، قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَيُّوبَ إِذْ تَادَى رَبُّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (83)

(سورة الأنبياء)

لم يشتك للخلق، يُعاب على المؤمن أن يشكو الخالق لخلقه، لا يفعلها المؤمن، قد يتخذ الأسباب، يقول أنا مريض من أجل أن يُعالجه الطبيب، لكن أن يتشكى ويتسخط أمام الناس وكأنه يشكو خالقه فالمؤمن لا يفعل هذا.

(وَأَيُّوبَ إِذْ تَادَى رَبُّهُ أَنِّي مَسِيئٌ) لأنَّ الأصل هو الخير، قال: (مَسِيئٌ) انظروا إلى هذا الأدب! ما قال أغرقني الصُّرُّ وأصبحت فيه، وكأنه مسٌُّ خفيف (أَنِّي مَسِيئٌ الصُّرُّ وَأَنْتَ أَزْهَمُ الرَّاجِمِينَ) فنادى ربُّه ولم يُنادِ غيره، فجاءت الاستجابة كما جاءت لغيره من الأنبياء قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ صُرٍِّ ۖ وَاتَّيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذَكَرْنَا لِلْعَالَمِينَ (84)

(سورة الأنبياء)

فأيوب عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، هو أيوب الصابر الذي بلغ مرتبةً عاليةً جداً من معرفة الله تعالى، هيأته لأن يصبر لحكم الله تعالى، في كتاب الله تعالى يقول ربُّنا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْخُوْبِ إِذْ تَادَى وَهُوَ مَكْطُومٌ (48)

(سورة القلم)

إذا حُكِمَ الله تعالى قد يأتي مُخالفاً لِمَا أُرِيدَ، لِمَا أَطْمَحَ إليه، لِمَا أُنْمَنَاهُ، وإلا لماذا أُؤْمَرُ بالصبر؟ يعني لو كنت أريد المال فلإلِّمَالي، وأريد الزوجة فالزوجة معي، وأريد الولد فالأولاد موجودون، وأريد الصحة فالصحة قائمة، إذا لماذا أخاطب؟ (فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ) إذا حُكِمَ رَبِّي قد يأتي بخلاف ما أُرِيدُ وبخلاف ما أَطْمَحُ إليه، لكن الله أعلم، وأحكم، فأنا أصبر لحُكْمِ رَبِّي أي أحبس النفس عن الجزع، والسخط، والتشكي، وأرضى بما قضاه الله تعالى لي، هذا معنى (فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ).

في القرآن الكريم ثلاث مرات يقول تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخْفِكَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ (60)

(سورة الروم)

فقط انتظر، أنت مهمتك أن تنتظر لكن الوعد حقٌّ، فهنا أيوب يُعلِّمنا هذا الدرس العظيم في الصبر على الصُّرِّ، والالتجاء إلى الله تعالى عند المصيبة، فيستجيب الله تعالى لعيده ويكشف ما به من صُرِّ.

المُحَاوِرَةُ هُنَا الْمَجَالِي:

إذا هذه الآيات تحدث عن أدب الدعاء في بلاء الطُّهْرِ، والمقصود هنا أنه إذا اشتدَّ الوجع يا دكتور فاعلم أنَّ أرحم الراحمين يسمعك، لا تشتك بل ارم قلبك على مكان وعتبة سجودك، بارك الله بكم.

ونذهب الآن إلى مشهدٍ سريع، وذكرٍ سريع لكنه شريف، لا تفاصيل بل صفةٌ واحدة تكفي:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ (85)

(سورة الأنبياء)

نحن هنا نتحدث عن سيدنا إسماعيل وإدريس وذو الكفل عليهم السلام، لما كانت هذه الآيات تتحدث فقط عن صدقٍ وتكليفٍ؟ ما جماليات هذه الآيات التي تتحدث فيها عن هؤلاء الأنبياء يا دكتور.

يُذَكِّرُ الْإِنْسَانَ بِأَفْضَلِ أَعْمَالِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ:

الدكتور بلال نور الدين:

نعم كما تفضّلتم هو سطرٌ واحد ذكر ثلاثة أنبياء: (وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ) إذاً ماذا تريد أن تعرف عن هؤلاء؟ قال: (كُلُّ مَنْ الصَّابِرِينَ) هنا السورة أجملت، وفي مكانٍ آخر فضّلت، مثلاً نبي الله إدريس المعلومات عنه قليلة، ذو الكفل نبي من أنبياء الله على قول جمهور المُفسِّرين، وهذا الصحيح لأنّ ذكره جاء بين الأنبياء، فليس مجرد رجلٍ صالح وإنما هو نبي من الأنبياء، ولم يُذكر تفاصيلٌ عنه إلا أنه صابر، يعني أحياناً الإنسان يعيش حياته ويقضى إلى الله تعالى، ثم إذا دُكر بعد خمسين سنة من وفاته، يُذكر بفضلٍ له، يعني قد يقول الناس: فلان رحمه الله كان قارئاً للقرآن، كان حافظاً لكتاب الله، كان مُحسناً يتبرع للفقراء، كان يكفل يتيماً، حياته كلها فيها: ذهب، ورجع، ودرس، وأكل، وشرب، وتنزه، لا تُذكر، يُقال بكلمةٍ واحدة فلان كان صابراً، فلان كان مُحسناً، فَيُذَكِّرُ الْإِنْسَانَ بِأَجْمَلِ أَعْمَالِهِ، وَأَفْضَلِ أَعْمَالِهِ، فُهنا في سطرٍ واحدٍ ذكّر الله إسماعيل ونحن نعرف إسماعيل عليه السلام، ونعرف صبره، وأعظم صبره:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمُرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ
مِنَ الصَّابِرِينَ (102)

(سورة الصافات)

وضع جبينه، ووضع رأسه، وقال له: اذبح يا أباي، ووضعت السكين على الرقبة ولم يتحرك! لَمْ يَتَّسِرْ يَبْنُتَ سَعَةً، ولم يتسخط، ولم يشك! فنعرف صبره. إذاً ما هو صبر إدريس وذو الكفل؟ يكفي أنّ الله تعالى قال: (كُلُّ مَنْ الصَّابِرِينَ)، فهذه شهادة عظيمة جداً يُذكر بها الإنسان، الإنسان لن يُذكر بعد موته بشهادته العُلّيا على أهميتها، ولا بمكانته التي بلغها، ولا بالوزارة التي تقلدها، سيُذكر بعمله فقط، بصبره، بجهاده، بثنائه، بمساعدته للناس، بإحسانه للآخرين، بصلاته، بعبادته، هذا ما يُذكر اليوم بين الناس، فرثنا جلّ جلاله قال: (كُلُّ مَنْ الصَّابِرِينَ) فأعطاهم شهادةً في الصبر، يعني ليتنا جميعاً نجدنا الله تعالى من الصابرين ونأخذ هذه الشهادة العظيمة.

المُحَاوِرَةُ هُنَا الْمَجَالِي:

اللهم آمين، إذاً يا دكتور بشكلٍ عام، الصدق والتكليف يفردان جناحيهما على هذه القصص وعلى هؤلاء الأنبياء، ليس شرطاً أن تُروى قصتك مراراً، ولكن يكفي أن يعلم الله صدقك، وثباتك، وتعلقك بالله سبحانه وتعالى.

الدكتور بلال نور الدين:

إذا علم الله من الإنسان الصدق، قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا ۖ إِنَّهُمْ مِّنَ الصَّالِحِينَ (86)

(سورة الأنبياء)

يأتي الإكرام من الله جلّ جلاله.

المحاورة هناك المجالي:

لا إله إلا الله، وإذا ما ذهبنا إلى التسييح والذكر يا دكتور، والذي ذكر في القرآن كثيراً وكان صفة لازمة لكل نبي، لكن هنا نتحدث عن تسييح مختلف، عن تسييح يونس عليه السلام في بطن الظلمات، وتسييح زكريا عليهما السلام، ماذا نُحدِّثنا عن هذه المشاهد، وهذا الإعجاز البلاغي والتصوير البياني تفضل.

المؤمن إذا ناجى ربه وطلب منه فإن الله يُنجيه من الغم ويكشف كربته:

الدكتور بلال نور الدين:

نعم بعد ذلك يذكر الله تعالى كما تفضّلتم نبّيه يونس وزكريا عليهما السلام، ويشتركان كما تفضّلتم بشيء واحد وهو تسييح وذكر الله تعالى، والناج عنه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَتَجَنَّبْنَا مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (88)

(سورة الأنبياء)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ رُوحَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَبَدَعُوا رَعْبًا وَرَهْبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (90)

(سورة الأنبياء)

في الحالتين: في الأولى: (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَتَجَنَّبْنَا) والثانية: (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ) فهنا عندما نتأمل في هذه الآيات الكريمة، يونس عليه السلام:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَدَا الثُّونَ إِذْ ذَهَبَ مُغَاصِبًا فَطَنَّ أَنْ لَنْ تَقْدَرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (87)

(سورة الأنبياء)

لم يهتد قومه، لم يستجيبوا، لم يسمعوا، والإنسان بطبيعته يحب أن يرى أثر عمله، ويونس قضى فيهم عمراً ولم يستجيبوا (فَطَنَّ أَنْ لَنْ تَقْدَرَ عَلَيْهِ) أي لن نُصَيِّقَ عليه، وليس لن نقدر بمعنى من القدرة حاشاه، أن يعتقد أنّ الله لا يقدر عليه، هذه لا تليق بمؤمن فكيف تليق بنبي؟! يعني فطن أن لن نُصَيِّقَ عليه في الأمر، ففيه سعة فليذهب فذهب، لكن هذا لا ينبغي للداعية أن يترك موقعه، للمُصلح أن يترك مكانه مهما طال أمد الاستجابة، فحصل ما كان:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَالْتَقَمَهُ الْخُوثُ وَهُوَ مُلِيمٌ (142)

(سورة الصافات)

(قَتَادِي فِي الظُّلُمَاتِ) في ظلمة الليل، وظلمة بطن الحوت، وظلمة البحر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَوْ كَطُّلْمَاتٍ فِي بَحْرِ لُجِّيٍّ يَعْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَخَابٌ طُّلْمَاتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ۚ وَمَنْ لَّمْ
يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ (40)

(سورة النور)

(أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) وهُنَا قَالَ الْعُلَمَاءُ هَذَا دَعَاءُ، الذِّكْرُ دَعَاءُ، هُوَ مَا قَالَ: أَسْأَلُكَ أَنْ تُفْرَجَ عَنِّي، لَكِنْ يَكْفِي أَنْهَ قَالَ: (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ
سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) اعْتَرَفَ بِظُلْمِ نَفْسِهِ وَنَاجَى اللَّهَ تَعَالَى، قَالَ: (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ).

هُنَا أُرِيدُ أَنْ أُؤَكِّدَ عَلَى مَوْضِعٍ قَالَ: (وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ) انْتَهَتْ الْقِصَّةُ هُنَا، قَالَ: (وَكَذَلِكَ نُجِّي الْمُؤْمِنِينَ) حَوَّلَهَا مِنْ حَالَةٍ فَرْدِيَّةٍ إِلَى قَانُونٍ جَمَاعِيٍّ، حَتَّى لَا نَقْرَأَ الْقُرْآنَ بِتَقْسٍ
أَنْهُ تَارِيخٌ، لَا أَبَدًا، الْقِصَّةُ فَضِيَّةٌ قَانُونٌ إِنْ صَحَّ التَّعْبِيرُ بِالْعُرْفِ الْحَدِيثِ، سُنَّةٌ مِنْ سُنَنِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْعُرْفِ الْقُرْآنِيِّ (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ) وَهَذِهِ لَهُ وَحْدَهُ؟ قَالَ:
(وَكَذَلِكَ نُجِّي الْمُؤْمِنِينَ) إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، فَهُوَ قَانُونٌ يَشْمَلُ كَمَا شَمَلَ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ، لَيْسَ لِلْأَنْبِيَاءِ فَقَطْ، أَنْتَ أَيْضًا إِذَا ذَكَرْتَ اللَّهَ وَنَاجَيْتَهُ وَطَلَبْتَ مِنْهُ، فَإِنَّ اللَّهَ يُنَجِّيكَ مِنَ الْعَمِّ
الَّذِي أَنْتَ فِيهِ، يَكْشِفُ الْكُرْبَاتِ، وَيُدْخِلُ إِلَى قَلْبِكَ السَّكِينَةَ، وَيُبْعِدُ عَنْكَ الْأَذَى (وَكَذَلِكَ نُجِّي الْمُؤْمِنِينَ).

الآن مُشَابِهٌ لَهُ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ، زَكَرِيَّا لَهُ فَصَةٌ أُخْرَى لَمْ يَقَعْ فِي عَمِّ، أَوْ يَدْخُلُ فِي بَطْنِ الْحَوْتِ، أَوْ فِي الظُّلُمَاتِ، لَكِنْ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (89)

(سورة الأنبياء)

زَكَرِيَّا يَرِيدُ الْوَلَدَ، يَرِيدُ مَنْ يَنْفَعُ النَّاسَ مِنْ بَعْدِهِ، يَرِيدُ مَنْ يَبْقَى، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ فِي طَبِيعَتِهِ عِنْدَهُ حَاجَاتٌ، مِنْ حَاجَاتِهِ الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ لِبَقَاءِ الْجِنْسِ، وَمِنْ حَاجَاتِهِ الزَّوْجَ لِبَقَاءِ النَّوْعِ،
وَمِنْ حَاجَاتِهِ تَأْكِيدَ الذَّاتِ لِبَقَاءِ الذِّكْرِ، يُحِبُّ أَنْ يَبْقَى ذَكَرَهُ، قَالَ: (رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا) فُجِبَ الْوَلَدَ، فَقَالَ: (وَوَهَبْنَا لَهُ إِخْوَتَهُ وَرُوحَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي
الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعَبًا وَرَهَبًا ۚ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ).

فَهُنَا سَبَدْنَا زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ، طَلَبَ طَلَبًا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ أَنْ يَرْزُقَهُ الْوَلَدَ، فَكَانَ أَنْ قَدَّرَ اللَّهُ لَهُ ذَلِكَ وَوَهَبَهُ، وَلَا يَخْفَانَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَوَهَبْنَا) أَنَّ الْوَلَدَ هِبَةٌ مِنَ اللَّهِ
تَعَالَى، وَعَطِيَّةٌ عَظْمَى يَنْبَغِي أَنْ يَرَعَاهَا الْإِنْسَانُ، وَأَنْ يَقُومَ عَلَى تَرْبِيَّتِهَا وَتَنْشِئَتِهَا النَّشِئَةَ الصَّالِحَةَ الَّتِي تُرْضِي اللَّهَ.

المُحَاوَرَةُ هُنَا الْمَجَالِي:

نعم بارك الله بكم يا دكتور، وفي آخر المشاهد مشهد الطهر والنقاء، مشهد الاصطفاء، ظهرت آية خالدة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالَّتِي أَحْصَيْتُ فَرْجَهَا فَنَفَقْتَهَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ (91)

(سورة الأنبياء)

ماذا تُحَدِّثُنَا يَا دَكْتُور عَنْ طَهَارَةِ السَّيِّدَةِ مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ؟ عَنِ الصَّمْتِ فِي وَقْتِ حَاجَةِ الدَّفَاعِ عَنِ النَّفْسِ، مَاذَا تُحَدِّثُنَا عَنِ سَيِّدِنَا عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ فِي الْمَهْدِ؟ وَلِمَ بَعْدَ
الْحَدِيثِ عَنِ كُلِّ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءِ تَأْتِي آيَةُ الْكَرِيمَةِ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (92)

(سورة الأنبياء)

تفضل.

عندما تكون صاحب حقٍّ ومظلوم فإن الله يتولى أمرك ويتولى بيان الحق:

الدكتور بلال نور الدين:

حُتِمَ الحديث عن الأنبياء بذكر مريم عليها السلام، وابنها النبي عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، والله تعالى هُنَا الخطاب عام لكنه يَحْمِنُ النساءَ أكثر، فما أجمل الحياء وما أشدَّ جماله في النساء، وما أجمل الطهر والعفاف، وما أعظم جماله وطهره وعفافه في النساء، فهذه المرأة الصالحة حَصَّنَتْ نفسها من الحرام، وأبعدت نفسها عن ما يُثِينُهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَحَمَيْتْ نَفْسَهَا مِنْ كُلِّ مَعْصِيَةٍ، فَكَانَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: **(فَتَقَحَّطْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا)** انظروا إلى العطاء الذي يُكْرِمُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ الْمَرْأَةَ الْحَيَّةَ، السَّيِّرَةَ، الْعَقِيْقَةَ، الطَّاهِرَةَ، وَلِنَنْظُرَ إِلَى أَثَرِهِ، فَمَا الَّذِي حَصَلَ؟ اللَّهُ تَعَالَى جَلَّ جَلَالُهُ عَبَّرَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: **(فَتَقَحَّطْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا)** فَكَانَ أَنَّ كَانَ لَهَا هَذَا الْوَلَدَ الْعَظِيمَ عَيْسَى عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيْنَا الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ **(وَجَعَلْنَاهَا وَابْتَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ)**.

وانظروا إلى ما تَفَضَّلَتْ بِهِ حَضْرَتُكَ أَنَّهُ الصَّمْتُ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَكَلِمِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا □ فَإِمَّا تَرَيَنَّ مِنَ الْمَنسْرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي تَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا (26)

(سورة مريم)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَأَسَارَتْ إِلَيْهِ □ قَالُوا كَيْفَ تُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (29)

(سورة مريم)

كيف رُئِنَا عَزَّ وَجَلَّ يُرِيَّ النَّفْسَ الْإِنْسَانِيَّةَ، عَلَى أَنَّكَ عِنْدَمَا تَكُونُ صَاحِبَ حَقٍّ وَمَظْلُومٍ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَتَوَلَّى أَمْرَكَ، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَتَوَلَّى بَيَانَ الْحَقِّ، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَتَوَلَّى لَكَ. طَبَعًا الْإِنْسَانُ يَدَافِعُ عَنِ نَفْسِهِ، لَكِنِ السَّيِّدَةُ مَرْيَمُ كَانَتْ فِي مَوْقِفٍ لَيْسَ فِيهِ دِفَاعٌ، يَعْنِي لِمَاذَا تَدَافَعُ عَنِ نَفْسِهَا؟!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَحَمَلْنَاهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَاتًا فَصِيًّا (22)

يعني التهمة واضحة والبراءة منها تكاد تكون شبه معدومة أمام الناس، لكن إله عزَّ وجلَّ في عِلْيَانِهِ تَوَلَّى الدِّفَاعَ عَنْهَا لِأَنَّهَا طَهَّرَتْ نَفْسَهَا، وَحَصَّنَتْ نَفْسَهَا مِنَ الْإِتِّمَامِ وَمِنَ الْمَعَاصِي، فَكَافَأَهَا اللَّهُ تَعَالَى بِهَذِهِ الْمَكَافَأَةِ الْعَظِيمَةِ، وَلَا يَخْفَى فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: **(وَجَعَلْنَاهَا وَابْتَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ)** هَذِهِ إِشَارَةٌ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

رسالة الأنبياء جميعاً التوحيد والعبادة:

ثم يقول تعالى: **(إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ)** هذا فيه إشارة إلى وحدة الأنبياء، ووحدة الدعوة التي جاء بها الأنبياء:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (25)

(سورة الأنبياء)

فكل الأنبياء جاؤوا بشيئين اثنين، جاؤوا بالتوحيد وبالعبادة، التوحيد قمة العلم والعبادة قمة العمل، الإنسان نشاطه في الحياة علم وعمل، إما أن أكون أتعلم أو أعمل، ما قمة العلم؟ التوحيد، فلو تعلم الإنسان كل علوم الدنيا ولم يتعلم التوحيد فقد خاب وخسر، ولو جهل كل علوم الدنيا مع أهميتها لكنه تعلم التوحيد فقد أفلح، ما نهاية العمل؟ أنا أعمل، أذهب، أرجع، أنزل إلى السوق، أنزل إلى الجامعة، ما نهاية وقمة العمل؟ أن أكون في عبادة الله تعالى، والله تعالى ما أرسل من نبي إلا ليُعلم الناس شيئين العلم والعمل، التوحيد والعبادة (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا) حُسن التوجه إلى الله، التوحيد (فَاعْبُدُونِ) العمل، عبادة لله تعالى، نجعل أعمالنا في طاعة الله تعالى.

فلذلك حُتمت هذه القصص بخاتمة رائعة جداً (إِنَّ هَذِهِ لَأُمَّةٌ وَاحِدَةٌ) نحن جميعاً إخوة، أنبياء الله إخوة وأتباعهم إخوة، فأتباع عيسى إخواننا، وأتباع موسى إخواننا، وأتباع إبراهيم الذي كان حنيفاً مسلماً إخواننا (إِنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ) كلها على مبدأ التوحيد والتوجه إلى الله، وحُسن العبادة لله تعالى (وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ) إلهنا واحد وأنبياؤنا متعددون لكنهم يدعون إلى إله واحد وإلى عبادة إله واحد.

المُحَاوَرَةُ هُنَا الْمَجَالِي:

نعم، ولكن الآية التي تتبعها كان فيها جمالية جداً تخفى على كثيرٍ من الناس، إلا من تدبَّر ووعى هذه الآية يا دكتور:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ (93)

(سورة الأنبياء)

إذاً بعد كل هذا للحديث، بعد كل هذه الابتلاءات، بعد كل هذه القصص، وبعد توحيد الله يبقى البشر بشر، وعندهم هذه النزعات البشرية، فيصفها القرآن بأنهم بعد كل هذا التفصيل إلا أنهم: (وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ) ولكن (كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ) هذه جماليات تفصيلية مع كل هذا السرد، إلا أنَّ البشر ينسون، يتناسون، يذهبون في غفلات الحياة، ثم هم يعودون إلى الله.

الدين يجمع ولا يُفَرِّق:

الدكتور بلال نور الدين:

لأنَّ طبيعة البشر:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۗ وَلَا يَرَالُونَ مُحْتَلِفِينَ (118) إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ
مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (119)

(سورة هود)

طبيعة النفس البشرية أنها تُحب الاختلاف، أو لا أقول تُحب وإنما تسعى إليه، أو توجِد أسبابه، مع أنَّ الله تعالى لم يوجِد أسباب الخلاف في الدين، فالدين في الأصل يجمع ولا يُفَرِّق، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سَرَّعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّيَ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا
تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ (13)

(سورة الشورى)

فالدين يجمعنا لأنَّ القِبلَةَ واحدة، ولأنَّ الإلهَ واحد، ولأنَّ الأنبياءَ يدعون إلى دعوةٍ واحدة، ولأننا نفق في صلاةٍ واحدة، ولأننا، ولأننا.. ومع ذلك نجد كما قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا تَعْرَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا يَبْتَنَّهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةُ سِبْطِكَ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجْلِ مُسَمَّى لَلْفِصَى بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا
الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِمَّنْهُ مُرِيبٌ (14)

(سورة الشورى)

فتجد أنَّ الناسَ يتفرقون في دين الله تعالى، وهذا له أسبابه الكثيرة التي ليس الآن مقام ذكرها.

المُحَاوَرَةُ هُنَا الْمَجَالِي:

نعم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَأَصْلَةَ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ عِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ (23)

(سورة الجاثية)

الدكتور بلال نور الدين:

عندما يكون الهوى، وللأسف اليوم الهوى بلبس لبوساً مختلفة، فما أحد يقول لك: أنا أتبع هواي، اليوم يقول لك: أنا أتبع عقلي، على سبيل المثال، يقول لك: قال لي عقلي، وأنا يقول لي عقلي شيئاً آخر بخلاف ما قاله لك عقلك، فإذا كان كل واحدٍ سيتبع عقله فهو في الحقيقة سيتبع هوى نفيته، فاليوم ليست تبعية العقل بمنأى عن تبعية الهوى، إذا لم تكن منضبطة بفهم النصوص والتعامل مع الوحي، فهذا له أسبابه كما قلنا، لكن ربنا جل جلاله يختم بختام رائع قال: **(كُلِّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ)** يعني في النتيجة العودة إلى الله تعالى وحده وهو الذي سيحايب، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يُكثِر في سجوده من دعاء:

{ اللَّهُمَّ رَبِّ جَبْرِيَلِ وَمِيكَائِيَلِ وَإِسْرَافِيَلِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ اهْدِنِي

لِمَا أَحْتَلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ }

(أخرجه مسلم)

المُحَاوَرَة هِنَاء المَجَالِي:

نعم بآرك الله بكم، لذلك يَا دكتور نرى المِلال، نرى الطوائف، نرى الأفكار، لأنَّ كل إنسانٍ فِينا اتخَذ هوَاه هو إِلَهُهُ واتخَذ تفكيره هو الحقُّ، وأنني أرى، وأظنُّ، وأشكُّ، إِذاً هَذِهِ كِلهَا جَاءت فِي مُحَصَّلَة (وَتَقَطُّوا أَمْرَهُمْ) هُنَا يَضِيق ذَكَر هَذِهِ المَعَانِي الجميلة، ولكن تُعْرَد لَهَا حلقة خاصة بِإِذْنِ الله تَعَالَى.

الدكتور بلال نور الدين:

إن شاء الله.

المُحَاوَرَة هِنَاء المَجَالِي:

بآرك الله بكم، إِذاً إِخوتِي الكرام فِي سورةٍ واحدة، اجتمع الأنبياء وكل واحدٍ منهم ترك أترأ خالداً، ودعوةً حيَّة، وعبرةً لا تموت. فإِذَا مَنْ أَثْقَلَهُ البلاءُ فَفُ مع أبوب، وإِذَا مَنْ غَرِقَ فِي ضيقِ النفسِ سَلَّمَ رُوحَهُ مع يونس، وإِذَا مَنْ اسْتَصْعَبَ التَّغْيِيرَ تَذَكَّرَ نوحاً، وإِذَا مَنْ سَعَى للتوحيدِ امشِ على خُطَى إبراهيمَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ جميعاً. فهذه ليست قصص بل مرآيا للنفس، وخرائط للسالكين، ونفحات نبوية في درب المتقين، وكل ذلك جُمِعَ فِي قلب المبعوثِ رَحْمَةً للعالمين صلوات ربي وسلامه عليه. بهذا مُسْتَمِعِينَا نختم حلقة اليوم، وفي الختام نشكُر الضيف الكريم فضيلة الدكتور والعالم الجليل الدكتور بلال نور الدين، ونشكُرُك يَا دكتور على ما قَدَّمْتُمْ وَأَقْدَمْتُمْ، وَجَزَيْتُمْ خَيْرَ الجَزَاءِ.

الدكتور بلال نور الدين:

بآرك الله بكم، وشكراً لهذه الاستضافة الطيبة، حيَّاكم الله.